# الفلاح

عناصر الموضوع

| | |
|---|---|
| مفهوم الفلاح | ٤٠٤ |
| الفلاح في الاستعمال القرآني | ٤٠٥ |
| الألفاظ ذات الصلة | ٤٠٦ |
| منزلة الفلاح | ٤٠٨ |
| أسباب الفلاح | ٤٠٩ |
| صفات المفلحين | ٤٢٢ |
| موانع الفلاح، وأسباب حرمانه | ٤٢٧ |
| ثواب المفلحين | ٤٣٥ |

## مفهوم الفلاح

### أولًا: المعنى اللغوي:

أصل مادة (فلح) تدل على معنيين:

أحدهما: يدل على شقٍ.

والآخر: على فوزٍ وبقاء[1].

فمن إطلاقات المعنى الأول: الفلح: الشق والقطع. والفلح: الشق في وسط الشفة السفلى، فيقال: رجلٌ أفلح، وامرأةٌ فلحاء. وسمي الأكار فلاحا؛ لأنه يشق الأرض، ومنه قولهم: إن الحديد بالحديد يفلح[2]، والفلح: النجش، وهو زيادة المكتري ليزيد غيره فيغر به[3].

ومن إطلاقات المعنى الثاني: الفلاح: البقاء في الخير، وفلاح الدهر: بقاؤه. ومنه (حي على الفلاح) أي: هلم على بقاء الخير[4]، وقيل: الفوز بالبقاء الدائم[5]. وقيل: النجاة[6].

### ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

الفلاح اصطلاحًا: اسمٌ جامع للظفر بالمطلوب، والنجاة من المرهوب[7].

فلفظ الفلاح إذًا يعم كل فلاح في الدنيا والآخرة، ومن ثم لم يكن «في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة من كلمة الفلاح»[8].

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/ ٤٥٠.
(٢) انظر: العين، الفراهيدي ٣/ ٢٣٣، جمهرة اللغة، ابن دريد ١/ ٥٥٥.
(٣) تهذيب اللغة، الأزهري ٥/ ٤٧.
(٤) العين، الفراهيدي ٣/ ٢٣٣.
(٥) تهذيب اللغة، الأزهري ٥/ ٤٦.
(٦) الصحاح، الجوهري ١/ ٣٩٢.
وانظر: معاني القرآن، الفراء ٢/ ١٨٦.
(٧) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١١/ ٣٥٠، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ١٨٢.
(٨) شرح السنة، البغوي ١٣/ ٩٤.

## الفلاح في الاستعمال القرآني

وردت مادة (فلح) في القرآني الكريم (٤٠) مرة[١].

والصيغ التي وردت هي:

| الصيغة | عدد المرات | المثال |
|---|---|---|
| الفعل الماضي | ٤ | ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون:١] |
| الفعل المضارع | ٢٣ | ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝٢١﴾ [الأنعام:٢١] |
| اسم الفاعل | ١٣ | ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥] |

وجاء الفلاح في الاستعمال القرآني بمعنى البقاء والفوز والسعادة[٢]، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]. أي: «قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله الخلود في جنات ربهم، وفازوا بطلبتهم لديه»[٣]. وقال ابن كثير: «قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح»[٤].

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٥٢٦.
(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/ ٤٥٠.
(٣) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٥.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٤٦١.

## الألفاظ ذات الصلة

### ١ الفوز:

الفوز لغة:

الفاء والواو والزاء كلمتان متضادتان. فالأولى النجاة والأخرى الهلكة، فمن الأولى قولهم: فاز يفوز، إذا نجا، وهو فائز، وفاز بالأمر: إذا ذهب به وخلص، ويقال هذا لمن ظفر بخير وذهب به، والكلمة الأخرى قولهم: فوز الرجل، إذا مات وهلك [(١)].

الفوز اصطلاحًا:

«الظفر بالخير مع حصول السلامة» [(٢)].

الصلة بين الفوز والفلاح:

الفوز قريب لمعنى الفلاح، إلا أن لفظ الفلاح يختص بنوع من الفوز: وهو الفوز بالأمر العظيم الذي يغتبط به [(٣)]، ويتطلب اجتهاد في تحصيله، ويلحظ فيه معنى البقاء والدوام.

### ٢ النصر:

النصر لغة:

النون والصاد والراء أصلٌ صحيحٌ يدل على إتيان خيرٍ وإيتائه. ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم [(٤)].

النصر اصطلاحًا:

العون. ويختص لفظ النصر بأنه إعانة في مقابل العدو المتربص، إما بالظفر عليه، وإما بدفع مضرته [(٥)].

وقيل: هو الفوز والغلبة على الأعداء.

الصلة بين النصر والفلاح:

أن النصر أخص من الفلاح؛ فالنصر الظفر على العدو، والفلاح أعم من ذلك.

(١) مقاييس اللغة ٤/ ٣٦٧.
(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٣٨٧.
(٣) معاني القرآن، الزجاج ١/ ٤٣٥.
(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٤٣٥.
(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص٨٠٨، الفروق اللغوية، العسكري ص١٨٩، الكليات، الكفوي ص٩٠٩.

## ٣ النجاة:

### النجاة لغة:

«أصل النجاء: الانفصال من الشيء، ومنه: نجا فلان من فلان وأنجيته، ونجيته»[(١)].

فالنجاة هي الخلاص من كل مخوفٍ مرهوبٍ ونظيرها السلامة[(٢)].

### النجاة اصطلاحًا:

لا يخرج عن معناه اللغوي.

### الصلة بين النجاة والفلاح:

النجاة جزء من معنى الفلاح، المشتمل على الظفر بالمحبوب والسلامة من المرهوب.

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٧٩٢.
(٢) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص٢١٠.

## منزلة الفلاح

تنوعت أساليب القرآن الكريم في الحديث عن منزلة الفلاح، والترغيب في تحصيله، ومن ذلك:

**١. ذكر الأسباب التي تعين على تحصيل الفلاح.**

قال جل وعز: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

**٢. التنويه بصفات عباد الله المفلحين.**

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

**٣. التنويه بذكر الثواب العظيم المقارن للفلاح في الدنيا والآخرة.**

قال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

**٤. ذكر نماذج مشرقة ممن اتصفوا بصفات الفلاح.**

كالصحابة رضي الله عنهم عمومًا، ويلحق بهم من صنع صنيعهم ممن جاء بعدهم. قال جل ثناؤه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكالأنصار خصوصًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

**٥. الترهيب من الأعمال التي تمنع من تحقق الفلاح، وتكون سببًا من أسباب حرمانه.**

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

**٦. التخويف من نقيض وصف الفلاح ومقابله وهو الخيبة والخسران في الدنيا والآخرة.**

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وقال جل وعز: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

**٧. التخويف من الآثار السيئة لمخالفة بعض أسباب الفلاح، كالاختلاف والفرقة والتنازع.**

قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

## أسباب الفلاح

الأسباب: جمع سبب، وهو كل شيء يتوصل به إلى غيره[١]. والمقصود به هنا الأعمال التي توصل إلى تحقيق الفلاح بإذن الله، وهي على ضربين: أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

### أولًا: أعمال القلوب:

وهي حركة القلب وإرادته الموافقة لما استقر فيه من العلم والتصديق[٢].

وضرب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لذلك مثالًا بقوله: «فأما قول القلب: فهو التصديق الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم... وهذا التصديق يتبعه عمل القلب، وهو حب الله ورسوله، وتعظيم الله ورسوله، وتعزير الرسول، وتوقيره، وخشية الله، والإنابة إليه، والإخلاص له، والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول»[٣].

ومن أعمال القلوب التي جعلها الله جل

(١) لسان العرب، ابن منظور ١/ ٤٥٨.
(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ٥٢٨، ٦٧٢، ١٠/ ٢٧١، ٧٣٦.
(٣) المصدر السابق ٧/ ٦٧٢.

ثناؤه سببًا في تحقق أصل الفلاح وكماله:

١. الإيمان.

وهو السبب الأعظم في كل فلاح دنيوي وأخروي، فكلما قوي الإيمان في قلب العبد واستحكم، كلما كمل فلاحه، وقد ذكر هذا السبب في موضعين من القرآن الكريم، وجاء ذكره فيهما في سياقين مختلفين:

**السياق الأول**: ذكر فيه الإيمان المطلق، والمراد به الدين جميعه، فهو بمعنى الإسلام، ويدخل فيه حينئذ الأعمال الظاهرة والباطنة. وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

**والسياق الثاني**: ذكر فيه الإيمان مقرونًا بالعمل الصالح، في قوله جل ثناؤه: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

والمراد به أصل الإيمان في القلب، وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره(١).

وقد نص الله جل وعز في مواطن من كتابه الكريم على بعض أصول هذا الإيمان بمفردها، وعلق عليها تحقق ذلك الفلاح، ومنها:

**٨. الإيمان بالغيب.**

فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٣-٥].

والمقصود به التصديق بكل ما غاب عن العبد مما لا تدركه الحواس ولا العقول وحدها؛ لأنه لا يعرف إلا بوحي الله إلى رسله، ومن ذلك ما أخبر الله به في كتابه العزيز، من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وجنته وناره، ولقائه، والإيمان بالحياة بعد الممات(٢).

**٩. الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين.**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤-٥].

والمعنى أي: يصدقون بما جئت به من الله جل وعز، وما جاء به من قبلك من المرسلين، لا يفرقون بينهم، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم(٣).

وقد أمر الله جل ثناؤه بذلك فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وأخبر تبارك وتعالى أن الرسول صلى

(١) المصدر السابق ٧/ ٥٥١ وما بعده.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٢٤٢.

(٣) روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٢٥٠.

الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين، آمنوا بهذا الأصل العظيم، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي قرن المؤمنين هنا بالرسول صلى الله عليه وسلم، والإخبار عنهم جميعا بخبر واحد، شرف عظيم للمؤمنين(١).

١٠. الإيمان باليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡـَٔاخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤-٥].

والآخرة: اسم لما يكون بعد الموت، واليقين: هو العلم التام الذي لا يتطرق إليه شك. والمعنى: يوقنون بكل ما أعده الله لخلقه يوم القيامة، فهم موقنون بالبعث والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان، والثواب والعقاب. وخص الإيمان باليوم الآخر بالذكر مع دخوله في عموم الإيمان بالغيب، والإيمان بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أحد أركان الإيمان؛ وأعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل(٢).

١١. الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، ونصرته، وإتباع ما جاء به.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَـٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

اشتملت هذه الآية على أربعة أفعالٍ، هي من أسباب حصول الفلاح في الدنيا والآخرة، وهي:

تصديق النبي الأمي صلى الله عليه وسلم، والإقرار بنبوته، وتوقيره وتعظيمه، ونصرته على من يعاديه، ويلحق به تعظيم سنته صلى الله عليه وسلم ونصرتها، ثم إتباع القرآن وما تضمنه من شرائع الإسلام التي أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه الآية أيضًا تنويه بعظيم فضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم؛ لأنهم أول وأعظم من تحققت فيهم هذه الصفات، ويلحق بهم من نصر دينه من بعدهم(٣).

ويدخل تحت هذا الأصل من أصول الإيمان: التسليم الكلي، والانقياد التام ظاهرًا وباطنًا لحكم الله جل ثناؤه ، وحكم

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٦١.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٢٥٢، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٠.
(٣) التحرير والتنوير ٥/ ٤٨٣.

رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

فإن من صفات المؤمنين الصادقين، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم، أنهم حين يدعون إلى ما جاء في كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بذلك، سواء وافق ذلك الحكم أهواءهم، أم خالفها = يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج، وبدون أدنى تردد أو تباطؤ(١). وهذا شرط الإيمان، قال جل وعز: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٢. التقوى.

وهي أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من غضب ربه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، بفعل كل ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، وترك كل ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم(٢).

وقد تكرر هذا السبب خمس مرات، في

سياقات متنوعة:

١. تقوى الله في مجانبة عادات الجاهلية، وخطوات المبتدعين الذين زادوا في الحج ما ليس من شرع إبراهيم عليه السلام(٣)، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

٢. تقوى الله في مجانبة ما حرمه الله من المعاملات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

٣. تقوى الله في ملازمة الصبر، والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٤. تقوى الله في ملازمة فعل الطاعات، وترك المحرمات، والجهاد في سبيل الله، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٧٢.
(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ٣٩، جامع العلوم والحكم، ابن رجب ١/ ٣٩٨.
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١/ ٢٦٣، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/ ١٦٧.

﴿تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

٥. تقوى الله في مجانبة كل ما كان صفته الخبث والرداءة، والخسة والفساد، من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال القبيحة، والنفوس الخبيثة، والأموال المحرمة[1]، قال جل ثناؤه: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وتقوى الله لما كانت جماع كل خيرٍ، وكانت تجمع حقوق الله وحقوق العباد؛ علق الفلاح عليها في جميع هذه الآيات تعلق المسبب بسببه؛ إيذانًا بأن تحقق التقوى سببٌ في تحقق الفلاح، وأن العبد كلما جاهد نفسه، واجتهد في تحقيق تقوى مولاه، كان فلاحه أكمل، وسعادته أعظم.

٣. الصبر والمصابرة.

الصبر من خصال الخير عظيمةٌ، التي لا يعلم جزاءها إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

من هدي إليه فقد هدي إلى خير عظيم، قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٥].

وقد جاء في موطنٍ واحدٍ تعليق الفلاح على مجموعة أمورٍ منها الصبر والمصابرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والمراد بالصبر هنا الصبر على جميع معاني طاعة الله جل ثناؤه، فيما أمر به، وفيما نهى عنه، فيدخل فيه الصبر على الجهاد، والصبر على الصلوات وفرائض الإسلام، والصبر على المصائب، والصبر على فعل الخير. فلا يدع ذلك الدين، وتلك الطاعة لشدةٍ تعتريه ولا لرخاء حتى يأتيه اليقين. أما المصابرة فهي مصابرة أعداء الله، أهل الكفر والضلال، مع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته، حتى يتحقق موعود الله، بإعلاء كلمته ودينه، والظفر والنصر لعباده للمؤمنين، والخزي لأعدائهم[2].

٤. مطالعة آلاء الله ونعمائه[3].

وهو من الذكر القلبي الذي يدخل تحت عموم قوله سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

إذ علق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة على تذكر نعم الله والتفكر فيها، وفي ذلك سرٌ لطيفٌ، وهو أن ذكر النعم، وإدامة النظر فيها، واستشعار عظمتها، يبعث في النفس تعظيم المنعم سبحانه، ومحبته، والخضوع له، والمداومة على شكره بالقلب واللسان

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٢٠٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/ ٣٣٦، تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٨٤٧.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٩٥.

والجوارح، فتقابل تلك النعم حينئذٍ بالطاعات.

٥. التوبة.

وقد علق الفلاح بالتوبة تعلق المسبب بسببه في موضعين اثنين، وتنوع المراد بالتوبة في هاتين الآيتين لتنوع الخطاب والسياق القرآني فيهما:

**أولًا**: التوبة من الشرك: وجاء ذلك في آية مكية كان الخطاب فيها للمشركين، قال جل ثناؤه: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٤-٦٧].

فذكر تعالى في هذه الآية: صورة التوبة التامة، التي يكون فيها الجمع بين ترك القبيح، وتحري الجميل[(١)]. فهو جمع بين ترك الشرك، وبين الإيمان وإخلاص العبادة لله، مع قيامه بالعمل الصالح.

**ثانيًا**: التوبة من التقصير والغفلة[(٢)]، التي لا يسلم منها إنسانٌ، وجاء ذلك في آيةٍ مدنية، كان الخطاب فيها لأهل الإيمان، فقال عز من قائل: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

فخاطب الله تعالى خيار خلقه أن يتوبوا إليه؛ بالرجوع إلى طاعته سبحانه في امتثال ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وبالرجوع مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه الله ظاهرًا وباطنًا. وفي خطاب المؤمنين وأمرهم بالتوبة الدليل على أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، وفي قوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، الحث على الإخلاص في أن تكون التوبة لله وحده، لا لأجل مقاصد فاسدة كالسلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك[(٣)].

٦. الإخلاص.

وقد جاء في سياق آيات الفلاح في القرآن الكريم التنبيه على مثال له: بالإخلاص في النفقة، فقال عز من قائل: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

وذلك بأن يتوخى المسلم بنفقته -يوم يعطي ويطعم- إرضاء الرب جل ثناؤه، والطمع فيما عنده، فلا الرياء مقصده ولا السمعة، ولا الفخر باعثه ولا الشهرة، ولا مكافأة يد سابقة، قال جل ثناؤه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٦/ ٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٦٧.

[الليل: ١٧ - ٢٠].

إنما يبغي بذلك كله وجه الله، لا يريد جزاءً ولا شكورا، قال جل وعز: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩].

٧. الخشوع.

وقد علق الفلاح عليه في موطن واحد، في قوله جل ثناؤه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

والخشوع في الصلاة إنما يتحصل لـمن فرغ قلبه للصلاة، واشتغل بها عما عداها، فأحضر قلبه بين يدي مولاه، واستحضر قربه وعظمته جل جلاله، وتدبر جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، فتنتفي بذلك الخواطر والأفكار الرديئة[(١)].

وإنما ذكر الخشوع مع الصلاة؛ لأنه بها أعلق، فهي أولى الحالات بإثارة الخشوع وقوته؛ ولذلك قدم هذا الوصف على بقية أوصاف المؤمنين، وفيه التنويه بشأن الخشوع، ومجيء ذلك في صورة الجملة الاسمية دلالة على ثبات الخشوع لهم ودوامه، وأنه أصبح لهم خلقًا[(٢)].

٨. موالاة الله ورسوله والمؤمنين، والبراءة ممن حاد الله ورسوله.

لما كان الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان؛ أخبر الله جل ثناؤه أن الاتصاف بوصف الإيمان مانع من موادة الكفار ومحبتهم ولو كانوا أقرب الناس[(٣)]، وأنه لا يجتمع في قلب المؤمن محبة الله، ومحبة من حاد الله ورسوله، وخالف أمر الله ونهيه، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن لوازم نهي المؤمنين عن مودة الكفار وموالاتهم؛ أن يكون ولاء المؤمن لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥].

وقال جل وعز: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وعلق سبحانه على تحقق هذه الصفة كل فلاح دنيوي وأخروي، فقال عز من قائل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٤٦١، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٤٧.

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي ١٨/ ٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٨/ ١٠.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي ٢/ ١١٥.

﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

## ثانيًا: أعمال الجوارح:

التوبة والإيمان والعمل الصالح، هذه ثلاثة أسباب علق الله جل ثناؤه عليها جميعًا الفلاح، وجمع بينها في آيةٍ واحدة، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

والمتأمل فيها يتبين مدى الترابط بينها؛ فالإيمان كلما قوي بعث في النفس روح الأمل، فتجد العبد يعيش روحانية عالية تجذبه جذبًا إلى المبادرة للتوبة، والمسابقة في الأعمال الصالحات. فهو يعيش بين لحظات ندمٍ على ما مضى، يكفرها بتوبةٍ وضراعة لمولاه، ويعيش فرحة أملٍ تدفعه لحياةٍ أفضل، يغتنم فيها عمره.

والعمل الصالح هو أن يعمل بما أمره الله بعمله في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم [(١)]، فيؤدي الفرائض، ويكثر من النوافل، ويجتنب المعاصي، وكلما كانت حاله أكمل، كان فلاحه وفوزه وسعادته في الدنيا والآخرة أكبر. وقد اشتملت آيات القرآن الكريم على أفعال للجوارح علق الله جل وعز عليها معاقد الفلاح، وفيما يلي ذكرها:

١ . الصلاة.

وهي من أعظم مباني الإسلام، التي علق عليها الفلاح، وقد جاء ذلك في خمسة مواضع من القرآن الكريم، وتنوعت أساليبه في ذلك:

٦. علق الفلاح على إقامة الصلاة.

قال جل ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٣-٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: ٤-٥].

وإقامة الصلاة؛ إقامتها ظاهرًا وباطنًا، إقامتها ظاهرا: بأداء حدودها، وفروضها، والواجب فيها، على ما فرضت عليه[(٢)]. وإقامتها باطنا: بحضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، وهي التي يترتب عليها الثواب، فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها[(٣)].

وقد جاء التنبيه على أن هذه الإقامة

(١) جامع البيان، الطبري ١٨/ ٢٩٨.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٢٤٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤١.

الظاهرة والباطنة للصلاة هي من أسباب تحقق الفلاح وذلك في قوله جل وعز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

**٧. علق الفلاح على الركوع والسجود.**

قال جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وخصا بالذكر من بين سائر أعمال الصلاة؛ لأنهما أعظم أركانها وأشرفها؛ إذ بهما إظهار الخضوع والعبودية، وتخصيص الصلاة بالذكر قبل الأمر ببقية العبادات في قوله: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ تنبيه على أن الصلاة أهم العبادات، فهي عماد الدين[(١)].

**٨. علق الفلاح على تعلق القلب بالصلاة واهتمامه بها.**

وهذا من الرباط الذي يدخل تحت قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقد فسر الرباط في قولٍ بأنه انتظار الصلاة بعد الصلاة؛ لأن كل من صبر على أمرٍ، ولازمه وثبت عليه، يقال: ربط قلبه عليه، وربط نفسه[(٢)]. ويدل له ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)؟. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط)**[(٣)].

٢. النفقة في سبيل الله.

وعلق الفلاح عليها في موضعين من القرآن الكريم، في قوله جل ثناؤه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٣-٥].

ولفظ النفقة في الآية عامٌ في جميع النفقات الممدوح بها، والمحمود عليها[(٤)]، ويشمل ذلك النفقات الواجبة والمستحبة، التي تبذل احتسابا وتقربًا إلى الله جل وعلا، على قدر ميسورهم وجهدهم. وأعلى تلك النفقة قدرًا الزكاة، فإن أحب الأعمال إلى الله الفرائض.

وقد بين سبحانه ذلك في سورة لقمان فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) انظر: التحرير والتنوير ٩/ ٣٢٥.
(٢) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ١/ ٥٣٩، مفاتيح الغيب، الرازي ٩/ ٤٧٤.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم ٢٥١، ١/ ٢١٩.
(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٢٥٠.

وإنما علق الفلاح على الزكاة والنفقة في سبيل الله؛ لما اجتمع فيها من تزكية للنفس وتطهيرها من الصفات الرذيلة، والإحسان إلى الخلق، وبها يتبين أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرج محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله[1].

٣. ذكر الله تعالى.

وقد علق الفلاح على ذكر الله في أربعة مواضع من القرآن الكريم، ثلاثة منها جاء ذكره فيها مقرونًا بعبادات هي من أعظم العبادات في الإسلام، فقد جاء مقرونًا بالجهاد في قوله جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وبالصلاة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

ومقرونًا بالإيمان وطهارة النفس من الشرك وبالصلاة معًا في قوله جل ثناؤه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤- ١٥].

وكثرة الذكر جاء بيانها في القرآن الكريم بأن يذكر العبد ربه في كل أحواله، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[النساء: ١٠٣].

والذكر تربية للروح، به تتصل بخالقها، وفيه تظهر قوتها، وبسببه يتنزل المدد من خالق الأرض والسماء، وبأخذ الأسباب المادية والروحية يتحقق النصر والظفر على الأعداء، والإنسان المسكين إذا فقد حظه من ربه خسر كل شيءٍ من أمره[2].

وكثرة الذكر سببٌ في انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وزوال الهم والغم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والموطن الرابع الذي علق فيه الفلاح على ذكر الله، كان الذكر فيها خاصًا، وهو ذكر آلاء الله ونعمه، قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

إذ يستشعر العبد بقلبه عظيم منن الله عليه، فيعظم حبه ورجاءه له، وينطلق لسانه بالثناء على النعماء، وتقبل جوارحه على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٦٤٦.

(٢) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ١/ ٥٤٧، ٥/ ٧٨.

الطاعة، فهو يذكر فيشكر، ويتحدث بفضل الله تعالى عليه، كما في قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

**٤. الجهاد في سبيل الله.**

وهو من أجل الطاعات وأفضل القربات؛ لما فيه من المصالح العاجلة، والمنافع الآجلة؛ إذ فيه محقٌّ لأعداء الله، وإعزاز للدين، وصون لدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، مع ما فيه من المشقة العظيمة، من بذل للنفوس والأموال، ومفارقة للأهل والأوطان(١).

ولما كان الجهاد في سبيل الله كذلك وعد بالفلاح وعلق عليه في القرآن الكريم وعلى بعض أحواله وصفاته، في أربعة مواضع منه، وتنوعت الأساليب في ذلك:

١. علق الفلاح على الرباط في سبيل الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. والمرابطة في الآية: «مرابطة الغزو في نحور العدو، وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين»(٢)، وقد وردت الأخبار في بيان ثوابه، والترغيب فيه، فروى البخاري في صحيحه، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**(٣).

وروى مسلم، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عن رسوله الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان)**(٤).

٢. علق الفلاح على فعل الجهاد في سبيل الله مقرونا بغيره من الأعمال الصالحة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]. والجهاد: بذل الجهد في قتال الأعداء من الكفار والمشركين بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي التام في نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد(٥). ويدخل تحت لفظ الجهاد بذل الجهد واستفراغ

(١) أحكام الجهاد وفضائله، العز بن عبد السلام، ص٥٣، ٥٤، ٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم ٢٧٣٥، ٣/ ١٠٥٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، رقم ١٩١٣، ٣/ ١٥٢٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٣٠.

الوسع في مجاهدة الشيطان وخطواته، ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء لحملها على فعل الطاعة وترك المعصية[(١)].

٣. علق الفلاح على الثبات عند لقاء الأعداء، وهو من عوامل الظفر والفوز في الدنيا، وقد جاء ذكر هذا السبب في موضع واحدٍ، مقرونًا بالإكثار من ذكر الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

٤. وعد الله المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بكل خير وفلاح في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

٥. فعل الخير والدعوة إليه.

وقد جاء عد ذلك من أسباب تحقق الفلاح في الدنيا والآخرة، في قوله جل ثناؤه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

والخير «اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه»[(٢)]، وروي عن مقاتل بن حيان تفسير الدعوة إلى الخير بالدعوة إلى الإسلام[(٣)]، ومراده بالدعوة إليه: الدعوة إلى خصال الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده[(٤)].

وفعل الخير والدعوة إليه صورة من صور تكاتف الأمة وتلاحمها في السعي إلى الرقي بأبنائها في مدارج الكمال، وتكميل جوانب النقص والحرمان، والجمع بينهما سبيل الأنبياء والمصلحين.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٢٠٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٤٢.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٢٧.
ونقل ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٣١٢ قول أبي سليمان الدمشقي في تفسير الخير: بالعمل بطاعة الله. وهو من قبيل اختلاف العبارة والمعنى واحد، فطاعة الله في أمره ونهيه هو امتثال لشرائع الإسلام.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/ ٦٦١، التحرير والتنوير ٤/ ٤٠.
واستدل ابن عاشور رحمه الله على أن الخير اسمٌ يجمع خصال الإسلام، بقول حذيفة اليمان رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشرٍ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟» الحديث. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم ٦٦٧٣، ٦/ ٢٥٩٥. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، رقم ١٨٤٧، ٣/ ١٤٧٥.

﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

### ٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد جاء في موضع واحد عده من أسباب تحقق الفلاح في الدنيا والآخرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة لأهل الخير والطاعة، وتركه مع القدرة سبب في حلول العقاب، ومنع إجابة الدعاء، والسؤال عنه يوم القيامة.

وهو صفة الأنبياء ومن تبعهم من المؤمنين، قال جل ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

«والمعروف: اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر: ما ينكر بهما»(١).

والمقصود به الأمر بكل ما يقرب العباد إلى الجنة، ويبعدهم من النار، والنهي عن كل ما يقربهم إلى النار ويبعدهم من الجنة.

ومن أعظم الأمر بالمعروف: الدعوة إلى الله وحده، وعبادته لا شريك له، والدعوة إلى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، ودينه الذي جاء به من عند الله. وأعظم النهي عن المنكر: النهي عن الكفر بالله، والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من عند الله، ثم الأمر بعد ذلك درجات، فيؤمر بكل ما هو طاعة لربهم، وينهى عن كل ما هو معصية لربهم(٢).

---

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٥٦١.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/ ٦٦١، تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٧٢٧، محاسن التأويل القاسمي ٥/ ١٩٤، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٤٢.

## صفات المفلحين

### أولًا: زكاة النفس، ووقايتها من الشح:

من صفات المفلحين أن أنفسهم أنفس زكية؛ لأنهم يسعون في تهذيبها وتزكيتها، قال جل ثناؤه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

ومادة زكى في اللغة تدل على النماء والطهارة(١).

ولفظ التزكية في الآيات عامٌ يدخل فيه تزكية النفس وتطهيرها بالإيمان الذي هو ضد الكفر، وبالطاعة التي هي ضد المعصية، وبالأخلاق الحميدة التي هي ضد الأخلاق الرذيلة، ويدخل فيه تزكية العمل بمتابعة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ومن الصفات التي لها آثارٌ ذميمة، وجاءت النصوص بذمها، والثناء على من زكى نفسه فتطهر منها، وتحلى بضدها صفة الشح؛ وقد جاء التصريح بأن توقي شح النفس من صفات المفلحين.

قال عز وجل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وفي إضافة الشح إلى النفس، دلالة على أنه من طباع النفوس وغرائزها، ويدل لذلك قوله سبحانه: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨].

وفي قول: ﴿وَمَن يُوقَ﴾ إشارة إلى إمكان التوقي منه(٢)، ودفعه بمجاهدة النفس.

و«الشح هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه»(٣).

ويترتب على ذلك ضيق النفس وعدم إرادتها بل وكراهتها وصول الخير إلى الغير. وهذا أساس الشر والهلاك الظاهر والباطن؛ إذ يحمل صاحبه على البخل؛ بامتناعه عن نفع غيره، وعلى الظلم بإلحاق الضرر بالمنعم عليه في نفسه وماله وعرضه، ويحمل على الحسد وهو كراهة ما اختص به الغير وتمني زواله، والذي يجمع بين سيئتي البخل والظلم، فإذا كان الحال كذلك بين الأقارب كانت قطيعة الرحم(٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ١٧، غريب القرآن، ابن قتيبة ص٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١/ ٢٥٦.

(٣) الوابل الصيب، ابن القيم ص٧٥.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨/ ٣٣٤، ٢٨/ ١٤٤. ويدل لذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٨، ٤/ ١٩٦٦ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم،

وأعظم نفوسٍ برئت من هذه الصفة، هي نفوس الأنصار أهل الدار، أنصار النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد زكاهم الله جل ثناؤه في كتابه الكـريم بذلك، فقال عز من قائلٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

## ثانيًا: المسارعة إلى الخيرات:

حث الله عزو جل عباده المؤمنين على فعل الخير، والسعي في طلب كل وسيلة تقرب إليه سبحانه، من الإيمان به، ومحبته، وطاعته، والعمل بما يرضيه، وعلق على هذا تحقق الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وجاء الحث فيهما بصورة الأمر في قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟﴾ وقوله: ﴿وَٱفْعَلُوا۟﴾، الذي يتضمن معنى المسارعة والسابقة إلى فعل الطاعات والاستكثار من الخيرات(١).

وفي هذا دلالة أن من صفات المؤمنين المفلحين: المسابقة والمسارعة إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة. وقد ندب الله جل وعلا إلى هذه الصفة، فقال: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وأثنى الله جل ثناؤه على أنبياءه عليهم السلام، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأثنى سبحانه على عباده المؤمنين من أهل الكتاب بهذه الصفة فقال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

وعلى المؤمنين من هذه الأمة فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

ومن لازم هذه المسارعة في الخيرات الاستكثار من الأعمال الصالحة، قال جل ثناؤه : في وصف عباده المفلحين: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

## ثالثًا: أداء الأمانات والحقوق:

عظم الله جل ثناؤه شأن الحقوق وأمر

حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم).

(١) انظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٤٧١.

بالقيام بها، ومن ذلك قوله جل وعز: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله بعد ذلك: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

وعظم سبحانه شأن من يرعى هذه الحقوق ويقوم بحقها، وجعل ذلك مناطًا للمدح في كتابه الكريم، فجاء في موطنين وصف المؤمنين المستحقين للفلاح بهذه الصفة.

الآية الأولى: قوله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

ثم ذكر من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

فاشتملت هذه الآية على صفتين من صفات عباد الله المفلحين:

**١. أداء الأمانة.**

وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، من فرائضه التي ائتمن الناس عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢][(١)]، «وهي أمانة التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله»[(٢)]. فجميع ما أوجبه الله على عبده فهو أمانة.

ومنها الاستجابة التامة، والسمع والطاعة المطلقة لحكم الله، وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ويدخل في الأمانة أيضًا حفظ الجوارح من كل ما لا يرضي الله تعالى[(٣)]. ومنها حفظ ما أؤتمن عليه من أمانات الناس الحسية كالأموال، والمعنوية كالأسرار، وتعاهدها بالرعاية، والمحافظة وعدم التضييع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨][(٤)].

**٢. الوفاء بالعهد.**

وهو «حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال، وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهدًا»، والوفاء به إتمامه وعدم نقض حفظه[(٥)].

ولفظ الآية عام في جميع ما أخذ على

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٢٧٧، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٤٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٤٨٩.
(٣) أضواء البيان، الشنقيطي ٥/ ٣١٩.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٤٧.
(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٥٩١، ٨٧٨.

الإنسان العهد بحفظه من حقوق الله -جل وعلا-، قال سبحانه: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢].

«وذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم»[١]، ومن الوفاء بالعهد حفظ ما بينه وبين الناس من حقوق والتزامات، يجب عليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه إهمالها والتفريط فيها[٢].

الآية الثانية: قال تبارك وتعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

فجعل الله جل ثناؤه من صفات عباده المفلحين القيام بحق القريب في الصلة والإحسان إليه بوجوه البر المتنوعة، وحق المحتاج والغريب المنقطع به الطريق في الزكاة والصدقة. فإن لم يكن عنده مالٌ يؤتيه للقريب والمحتاج فلا أقل من أن يرفق بهم بفعله وقوله، بكلام لين سهل، فيقول لهم معروفًا، ويعدهم خيرًا.

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

(١) جامع البيان، الطبري ٩/ ٦٦٦.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٢٧٧، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٤٨، أضواء البيان، الشنقيطي ٥/ ٣١٩.

## رابعًا: البعد عن المحرمات، وحفظ الفروج:

١ . البعد من المحرمات.

وقد تنوعت الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في التنبيه والدلالة على هذه الصفة:

- جعل التقوى من أسباب حصول الفلاح للعبد، وتقوى الله «هو الامتناع عن المحارم، وتحري الواجبات»[٣]، وذكر الله في كتابه الكريم صورًا لبعض تلك المحرمات، منها: اتباع خطوات المبتدعين في الدين، كحال أهل الجاهلية الذين زادوا في الحج ما ليس من شرع إبراهيم عليه السلام، ومقارفة الخبيث والرديء من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال، ومجانبة ما حرمه الله من المعاملات كالربا.
- جاء التصريح بنفي أصل الفلاح أو كماله عمن ارتكب بعض المحرمات، كالكفر والردة عن الدين، والخمر، والميسر، والربا، والزنا. وفي هذا دلالة على أن من أخص صفات المفلحين البعد عن المحرمات.
- أن الله جل ثناؤه أثنى على المؤمنين بهذه الصفة فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٤/ ٣٣٨.

﴿خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

«واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح»[(١)]، فيدخل فيه الشرك، والمعاصي، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال[(٢)]. والإعراض عن اللغو هو بالبعد عنه، بأن لا يفعله، ولا يرضى به، ولا يخالط من يأتيه، كما قال -عز من قائل-: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٢][(٣)]، وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

- جاءت هذه الصفة في سياق شرطي، وأنه كلما تحققت هذه الصفة؛ عظم الفلاح في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ويدخل تحت معنى هذه الآية، أن النفس جبلت على التطلع والحرص على ما تهواه وتشتهيه، فمن تابع نفسه في هواها، ولم يحجزه إيمانه، يوشك أن يقع في الحرام، فتزين له نفسه الزنا، والسرقة، وأكل أموال الناس ظلمًا[(٤)]. ومن وفقه الله ووقاه حرص نفسه، فألجمها بلجام الإيمان، لم يحمله ذلك الشح على فعل الحرام، بل كان هو أشد مباعدة له، وتحقق له موعود الله، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

٢. حفظ الفروج.

فقد أمر الله جل ثناؤه بحفظ الفروج، فقال جل وعز: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾[النور: ٣٠].

وأثنى سبحانه على الحافظين لها، فقال: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

«ولما كانت هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان، وأعصاها عند الهيجان على العقل»[(٥)]، ضمن النبي صلى الله عليه وسلم لمن حفظ فرجه الجنة، فروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من توكل لي ما بين رجليه، وما بين لحييه، توكلت له بالجنة)[(٦)]. وأعظم الناس حفظًا

(١) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٥٢٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٤٦٢.
(٣) غرائب القرآن، النيسابوري ٥/ ١٠٩.
(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٥٢٨، محاسن التأويل، القاسمي ٩/ ١٨٨.
(٥) الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي ١٠/ ٣١٢١.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب

لفروجهم هم المفلحون من عباد الله؛ لذلك وصفهم الله جل وعز به، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وذكر من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٧].

ومفهوم الآية يتضمن أن من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين، وأنه من الملومين، ومن العادين. ففاته الفلاح، واستحق اسم العدوان، ووقع في اللوم. فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك[(١)]، فكيف بجميعه.

وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج: ٢٩ – ٣٠].

وتارة يكون بحفظه من النظر إليه[(٢)]، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: **(احفظ عورتك، إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك)**[(٣)].

## موانع الفلاح، وأسباب حرمانه

نفي مطلق الفلاح عن الحي المعين مهما بلغ في ظلمه وكفره، ومشاقته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم حق لله وحده جل ثناؤه ؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا هو سبحانه، وهو يعلم خاتمة كل أحدٍ، ورحمته وسعت كل من أقبل إليه بالإيمان.

ويدل لهذا المعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: **(كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله)؟** فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨][(٤)].

وبالتتبع والاستقراء لآيات الفلاح في القرآن الكريم يمكن حصر موانع الفلاح وأسباب حرمانه، وتصنيفها فيما يلي:

---

المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش، رقم ٦٤٢٢، ٦/ ٢٤٩٧.

(١) الداء والدواء، ابن القيم ص٣٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٤٢.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٣/ ٢٣٥، وأبو داود في سننه، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، رقم ٤٠١٧، ٦/ ١٣٤، والترمذي في سننه، أبواب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، رقم ٢٦٧٠، ٥/ ٩٧، وابن ماجه في سننه، كتاب أبواب النكاح، باب التستر عند الجماع، رقم ١٩٢٠، ٣/ ١٠٦.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم ١٧٩١، ٣/ ١٤١٧.

## أولًا: الكفر والردة:

### ١. الكفر.

وقد جاء التصريح بعده من موانع الفلاح في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

وإنما كان الكفر من موانع الفلاح؛ لأنه أعظم ما ينافي الإيمان وتوحيد الله الذي من أجله خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب. ولفظ الكفر في هاتين الآيتين يشمل شرك من يدعو مع الله إلهًا آخر، لا برهان له به، والتكذيب بالرسل عليهم السلام، وبما وعدوا من ثواب الآخرة كما هو شأن قارون، وهذا أعظم الكفر. ويشمل كذلك الكفران بنعمة الله وجحودها[(١)].

وقد بين الله تعالى في موطن آخر أن هذه الألهة التي تعبد من دون الله هي من عمل الشيطان، وعلق سبحانه الفلاح والفوز على البعد عن هذه المعبودات واجتنابها، وصرف العبادة له وحده، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

### ٢. الردة.

وهي الرجوع من الإسلام إلى الكفر[(٢)]، وجاء التصريح بنفي الفلاح عمن ارتد عن دينه في موضع واحدٍ، قال الله جل ثناؤه في قصة الفتية الذين آمنوا بالله، وفروا بدينهم: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [ الكهف: ٢٠]. أي ولن تدركوا السعادة والفوز في الدنيا والآخرة إن عدتم إلى الكفر بعد إذ أنقذكم الله منه؛ لأن الكفر يحبط العمل ويوجب الخلود في النار، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

## ثانيًا: ارتكاب الكبائر:

الكبائر: جمع كبيرة، وهي كل ذنب ترتب عليه حدٌ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة[(٣)]. والتلبس بهذه الكبائر من أعظم الموانع التي تحرم العبد كمال الفلاح في الدنيا والآخرة،

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/ ١٣٤، تفسير البيضاوي ٤/ ١٨٦.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٣٤٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٦٥٠.

وفيما يلي ذكر لتلك الكبائر:

١. الخمر والميسر.

الخمر: كل مسكر خامر العقل وغطاه، من أي نوع كان. والميسر: كل المغالبات القولية أو الفعلية التي يكون فيها العوض من الطرفين[١]. وقد علق الفلاح على اجتناب الخمر والميسر في قوله جل ثناؤه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وإنما كانت الخمر والميسر مانعة من تحقق كمال الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة لما اشتملت عليه من الآثار السيئة والآثام الكبيرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

ففيها فتح لأبواب الشر والفساد بوقوع العداوة والبغضاء، والفرقة والاختلاف، وربما آلت بأصحابها إلى القتل والنهب والعقوق والقطيعة، وهذا عنوان الشقاء، وفيهما أيضًا صدٌّ عن سبل الفلاح، وعن أبواب الخير العظيمة، وهذا عنوان الحرمان والخيبة.

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١].

٢. الربا.

وهو الزيادة في أشياء مخصوصة، والزيادة على الدين مقابل الأجل[٢]، وهو من كبائر الذنوب التي تحول بين العبد وبين الفلاح.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

أي: واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ومنه ترك الربا، كي تنجو من عقابه، وتظفروا بالخلود في جناته. وفيه إشارة إلى أن من لم يترك الربا لم يحصل له كمال الفلاح في الدنيا والآخرة. وإنما كان الربا من موانع كمال الفلاح؛ لأن المتعامل به فاته الاتباع والانقياد لأمر الله، وهذا أعظم خصال أهل الإيمان.

قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وصاحب الربا على خطرٍ من شؤم مخالفته لأمر الله جل ثناؤه، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٨ وذكر أنه استثني من ذلك مسابقة الخيل والإبل والسهام، فهي مباحة؛ لكونها معينة على الجهاد؛ ولهذا رخص فيها الشارع.

(٢) الربا في المعاملات المصرفية، عمر المترك ص٤٣.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فهو متوعد في الدنيا بنقص المال وذهاب بركته.

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦].

ومتوعد في الآخرة بحرمان نعيم الجنان ودخول النار.

قال جل وعز: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٣. التعدي على أعراض الناس بالزنا والفجور.

الزنا من كبائر الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

ومانع من موانع كمال الفلاح في الدنيا والآخرة، قال سبحانه في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، جملة تعليليةٌ، وهي التعليل الثاني الذي يعلل به يوسف عليه السلام سبب امتناعه عما تطلبه منه امرأة العزيز.

ونفي الفلاح عن الظالمين يعم كل ظالمٍ، وأولى من يدخل تحته في هذا السياق من قابل الإحسان بالإساءة، فخان من أحسن إليه، وتعدى على عرضه وشرفه. وسمي ذلك ظلمًا؛ لأنه فعل ما ليس له فعله، فتجاوز ما أحله الله إلى ما حرمه، ووضع الشيء في غير موضعه.

قال جل وعز: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

وإنما كان الزنا من موانع كمال الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة؛ لأنه بفعله لهذه الفاحشة قد تعدى حدود الله، وانتقص من إيمانه بقدر هذه المعصية، ولأن الله جل ثناؤه قد رتب على الزنا أنواع العقوبات الدنيوية والأخروية، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وعقوبته مغلظة، فيقتل بأشنع القتلات، الرجم حتى الموت، أو الجلد بمشهدٍ من المؤمنين في موقف لا تأخذهم الرحمة له

من إقامته عليه، قال سبحانه: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

ثالثًا: الظلم، افتراء الكذب على الله، الاجرام:

١. الظلم.

وهو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدولٍ عن وقته أو مكانه، والظالم هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ما ليس له، ويطلق الظلم على كثير التجاوز وقليله[1].

وهو من أعظم موانع الفلاح في القرآن الكريم، وقد جاء التصريح به في أربعة مواضع:

ثلاثة منها أطلق فيها الظلم وأريد به الكفر بالله، وهو أعظم الظلم على الإطلاق. وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٣٧].

وأما الموطن الرابع فأطلق الظلم فيه وأريد به فاحشة الزنا، وذلك في قوله جل ثناؤه: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وتنوع المراد بالظلم في هذه الآيات؛ إيذانٌ بأن الفلاح المنفي عن الظالم تتفاوت درجته بتفاوت الظلم نفسه، فالكافر المتصف بأعظم أفراد الظلم ينفى عنه أصل الفلاح المقتضي للخلود في النار، والحرمان من دخول الجنة، بينما نفي الفلاح عن أفراد الظلم التي هي دون الكفر هو من باب نفي كمال الفلاح الدنيوي والأخروي.

وعموم نفي الفلاح عن الظالم سنة ربانية لا تتخلف ولا تتبدل أبدًا، فالظالم وإن تمتع في دنياه بما تمتع به، فنهايته فيه الاضمحلال والتلف[2]، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته)[3].

---

(١) انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة ص٢٨، المفردات، الراغب الأصفهاني ص٥٣٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة)، رقم ٤٤٠٩، ٤/١٧٢٦، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب

٢. افتراء الكذب على الله.

«الفري: قطع الجلد للخرز والإصلاح، والإفراء للإفساد، والافتراء فيهما معًا، وفي الإفساد أكثر، وكذلك استعمل في القرآن الكريم في الكذب والشرك والظلم»(١).

وافتراء الكذب على الله تعالى والتكذيب بآياته من أعظم صور الظلم؛ لذا قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وقد جاء التصريح بعده من موانع الفلاح في موضعين اثنين من القرآن الكريم:

**الأول:** في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩].

وافتراء الكذب على الله في الآية عامٌّ يشمل جميع صوره، وأقربها من جهة السياق من اختلق على الله الكذب في نسبة الولد له سبحانه ، وفي ادعاء الشريك والشفيع له.

**والموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وافتراء الكذب على الله هو بتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ثم نسبة ذلك إليه سبحانه.

وهذا كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

والخطاب في هاتين الآيتين للكفار، والفلاح المنفي عنهم هو مطلق الفلاح الدنيوي والأخروي، والمقتضي للخلود في النار، والحرمان من دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقد ذكر الله جل ثناؤه بعض وجوه نفي الفلاح الدنيوي عن المفترين الكذب عليه سبحانه، فهم متوعدون بالغضب والذلة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وهم أيضًا متوعدون بعذاب يستأصلهم، قال سبحانه: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ

---

تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٣، ٤/ ١٩٩٧.

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٦٣٤.

﴿خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

ولما كان نفي الفلاح الدنيوي عن الذين يفترون على الله الكذب عامٌّ، بين جل ثناؤه أن ما قد يحصل لبعضهم من صور التنعم الظاهر في الدنيا، هو متاعٌ قليلٌ على سبيل الاستدراج والإملاء(١)، فقال جل وعز: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

ونظير هذه الآية قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٣-٢٤].

٢. الإجرام.

الجيم والراء والميم أصلٌ واحد بمعنى القطع، ومنه قولهم: جرم، أي كسب؛ لأن الشيء الذي يحوزه كأنه يقتطعه(٢). ثم أطلق الفعل على كل اكتسابٍ مكروه، ولا يكاد يستعمل في الكسب المحمود(٣).

وقد جاء عده من موانع الفلاح في موضع واحد، في قوله جل ثناؤه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

والمراد بالمجرمين هنا الكفار(٤) الذين اكتسبوا الإثم بكفرهم بالله. ولفظ افتراء الكذب على الله والتكذيب بآياته في الآية عام، ومنه تحريف كلام الله ثم نسبته إليه سبحانه، وادعاء النبوة والوحي من الله(٥)، والتكذيب بآيات القرآن التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ تذييل للوعيد يتنزل منزلة التعليل، أي لا ينجح ولا يفوز بحاجته من اتصف بصفة الإجرام. وهذا النفي للفلاح يختلف بحسب حال الفاعل للإجرام، فإن كان كافرًا، قد اكتسب بكفره وتكذيبه الآثام كما في سياق هذه الآية، فالمراد بنفي الفلاح عنه؛ نفي أصله، وإن كان من اتصف بصفة الإجرام قد اكتسب من الذنوب واجترح من السيئات التي لم تبلغ درجة الكفر والتكذيب، فهو على خطر الوعيد، وحقيق بأن يدخل تحت هذا القدر من الآية، ويكون المراد بنفي الفلاح عنه نفي كماله.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٨٣.
(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٣٩٧.
(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص١٩٢، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢/ ٣٥٦.
(٤) جامع البيان، الطبري ١٢/ ١٤١.
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٥٤، محاسن التأويل، القاسمي ٦/ ١٣.

رابعًا: السحر:

السحر في اللغة صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، ويطلق على كل ما لطف مأخذه ودق[١]. والسحر أنواعٌ فمنه ما هو تخييل، ومنه ما له حقيقة وتأثير، وهو محرمٌ بالإجماع[٢]، وما كان منه من نوع السحر الحقيقي فهو من الكفر البين؛ لأنه لا يتحقق إلا بالوقوع في الشرك، كمعاونة الشياطين للساحر مقابل ما يقدمه لهم من طاعة وخضوع في مخالفة الشرع[٣]. والسحر من موانع تحقق الفلاح الدنيوي والأخروي، وقد جاء التصريح بذلك في موضعين من القرآن الكريم:

الأول: في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧].

وذلك في سياق الرد على فرعون وملئه المكذبين بما أوتي موسى عليه السلام من الآيات، والقائلين له: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٧٦]. ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ﴾ منكرًا عليهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ وضمن ذلك معنى التكذيب والتوبيخ والتجهيل لقولهم[٤]، ثم لما نفى موسى عليه السلام عن آيات الله أن تكون سحرًا، ارتقى فأبان لهم فساد السحر نفسه، وسوء عاقبة معالجيه تحقيرًا لهم؛ لأنهم كانوا يعظمون شأنه، فقال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[٥].

والموضع الثاني: في قوله سبحانه: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

أي: لا يظفر الساحر ولا يحصل له مقصوده بالسحر أينما كان، وقيل عدم فلاحه: بأن يقتل الساحر حيث وجد، وهو من التفسير باللازم[٦].

ونفي الفلاح في هاتين الآيتين يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر، وأكد سبحانه ذلك بالتعميم في كل الأمكنة بقوله: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾، وذلك دليل على كفره؛ لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفيًا عامًا إلا عمن لا خير فيه، وهو الكافر[٧].

وإنما كان السحر الحقيقي من موانع الفلاح؛ لأنه قد انتفى عنه بسحره هذا أصل

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٤/ ١٧٠، لسان العرب، ابن منظور ٤/ ٣٨٤.
(٢) انظر: المغني، ابن قدامة ١٢/ ٣٠٠، شرح صحيح مسلم، النووي ١٤/ ١٧٦.
(٣) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص٣٨٤، السحر، أحمد الحمد ص١٨٤.
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٩/ ٧٣، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤/ ١٦٨.
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١/ ٢٥٠.
(٦) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/ ٢٠٥، المحرر الوجيز، ابن عطية ١١/ ٨٧.
(٧) أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ٣٩.

الإيمان الموجب لكل فوز وسعادة في الدنيا والآخرة، فليس للسحرة في الآخرة حظ ولا نصيب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وأما حظهم في الدنيا فالذلة والصغار، وعدم تحقق ما يسعون إليه ويهدفون، قال سبحانه عن حال سحرة فرعون قبل إيمانهم وسجودهم لرب العالمين: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨ - ١١٩].

## ثواب المفلحين

أثنى الله تبارك وتعالى على عباده الذين قاموا بأسباب الفلاح، واتصفوا بصفات المفلحين، وبين في مواطن من كتابه الكريم عظم ذلك الثواب الذي ظفروا بطرف منه وهم أحياء في الدنيا، وينتظرون الفوز الأكبر به في الآخرة، ويمكن النظر إلى ماهية ذلك الثواب من خلال ما يلي:

### أولًا: ثواب المفلحين في الدنيا:

١. الاهتداء إلى الطريق المستقيم.

من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده المؤمنين نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم. قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

وسؤال هذه الهداية من الله عز وجل من أعظم مطالب العباد، واضطرارهم إليها فوق كل ضرورة[١].

وقد أكرم الله جل ثناؤه المتقين من عباده والمحسنين؛ القائمين بأسباب الفلاح الظاهرة والباطنة على الكمال، أن وفقهم للهداية التامة فقال جل وعلا: ﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٣٢.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

فمن الهداية التامة: هداية الدلالة والبيان المتضمنة تعليم المؤمن ما لا يعلم من الحق إجمالًا وتفصيلًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والمعنى: «لنبصرنهم سبلنا، أي: طرقنا في الدنيا والآخرة»[(١)].

ومن الهداية التامة: هداية التوفيق والإلهام، والمتضمنة إلهامه الحق، والتوفيق لإتباعه، والعمل بعلمه، والثبات عليه إلى الممات[(٢)]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]. «والذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أي: ألهمهم رشدهم»[(٣)].

٢. الحصول على الخيرات والذكر الحسن.

أثنى الله جل وعز على عباده المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح في الجهاد بالمال والنفس، ووصفهم بأنهم المفلحون الفلاح المطلق، الذي تكاملت فيه أسبابه، وتحققت صفاته، فهم الذين ظفروا وفازوا بكل مطلوب لهم في الدنيا والآخرة، ومنه الحصول على الخيرات الكثيرة المتتابعة، كما في قوله جل وعلا: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

والخيرات جمع خيرة، وهو المستحسن من كل شيء[(٤)]، واللام فيه للاستغراق؛ للدلالة على كثرة وتنوع ما يمنحون من المحاسن والفضائل في الدنيا والآخرة، وأولاها بالذكر والدخول تحت عموم هذا اللفظ تلكم الخيرات المتعلقة بالإيمان والجهاد في سبيل الله، كالعزة، والنصر على الأعداء، وإقامة الحق والعدل بدين الله، والتمتع بالغنائم، والسيادة في الأرض، ومنها الذكر في الدنيا، والثناء الحسن، وسلوك الناس طريقهم[(٥)].

## ثانيًا: ثواب المفلحين في الآخرة:

١. ثقل الموازين يوم القيامة.

تجازى الخلائق في الآخرة بأعمالها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فمن ثقلت

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٩٦.
(٢) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٣٢، الوعد الأخروي، عيسى السعدي ١/ ٨٠.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣١٥.
(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/ ٢٤٩.
(٥) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١٠/ ٥٠٣، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠/ ٢٩١.

موازينه بالأعمال الصالحة، ورجحت حسناته على سيئاته، فهو من تحقق له الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران: ١٨٥].

وقد أخبر الله جل ثناؤه في موضعين اثنين من كتابه الكريم أن ثقل الموازين بالحسنات يوم القيامة وما ترتب عليه، هو من الفلاح الذي ظفر به المفلحون من عباده فقال عز من قائل: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وقال سبحانه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

### ٢. وراثة الفردوس.

وعد الله جل ثناؤه عباده المؤمنين الذين حققوا أسباب الفلاح في الدنيا بالظفر والفوز بالنعيم المقيم في الآخرة، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠].

أي: هم الأحقاء بأن يسموا وراثًا دون من عداهم ممن لم يتصف بتلك الصفات من المؤمنين[١].

ثم بين الله جل وعز ما يرثونه على سبيل التفخيم والتأكيد[٢]، فقال: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١].

والفردوس هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر[٣]. وهو أوسط الجنة وأعلاها منزلًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)**[٤]. ووراثة عباد الله المفلحين لجنة الفردوس بأن يرثوا منازل أهل النار في الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار، ورث أهل الجنة منزله)** فذلك قوله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[٥].

**موضوعات ذات صلة:**

الخسران، الصلاح، النجاة، النصر

(١) روح المعاني، الألوسي ١٨/ ١٢.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/ ٨٣.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٣/ ١٧٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)، رقم ٦٩٨٧، ٦/ ٢٧٠٠.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب صفة الجنة، رقم ٤٣٤١، ٥/ ٣٨٩.
وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢/ ١٠١٠، رقم ٥٧٩٩.